إلا بحبل من اللّه

هذه الذلة والمسكنة ملازمة لليهود، ومنطبقة على حياتهم كلها، ولا يكاد يخرج كيانهم القائم عن هذا ﴿ ضربت عليهم الذلةُ أينما ثُقفوا، إلاَّ بحبلٍ من اللّه وحبل من الناس ﴾.

وتخبرنا هذه الآية بحقيقة قرآنية قاطعة، وهي حقيقة الحبال الممتدة إلى اليهود، والتي أشبه ما تكون بحبل الإنقاذ للغريق.

وهذه الحبال الممدودة إليهم نوعان: حبل من اللّه، وحبل من الناس.

ونلتفت إلى لفتة قرآنية لطيفة في هذا الخصوص، وهي التعبير عن الحبال بالمفرد ﴿ حبل من اللّه، وحبل من الناس ﴾ وكأن الآية تقصد إلى تقليل هذه الحبال وتهوينها وقصرها، وسرعة زوالها وتقطعها. إنها في حقيقتها حبل واحد، وإنها في قوتها حبل واحد، وإنها في قصرها حبل واحد.

وهذا الحبل ورد بصيغة الاستثناء ﴿ إلا بحبل من اللّه ﴾، يعني أن الذلة والمسكنة ملازمة لليهود في حياتهم الطويلة، ولا يكاد يخرج عنها إلا فترة قصيرة جداً، تمر في لحظة سريعة جداً، وهي التي يتقطع فيها الحبل ويزول ويتلاشى.

وكيان اليهود القائم الآن يمثل هذه الفترة التي يُظن فيها زوال الذلة والمسكنة عنهم، فما هو إلا لفترة يسيرة ريثما ينتهي فيها أمد الحبل الممدود